مؤلف: **مجموعة مؤلفين**
مصدر: **شبهات المشككين في الإسلام**
لتاريخ: **13/10/2020**

نص السؤال

اتهام ابن حجر بالتساهل في أحكامه النقدية

الجواب التفصيلي

ابن حجر بالتساهل في أحكامه النقدية(*)

هة:

لواهمين الحافظ ابن حجر العسقلاني بالتساهل في أحكامه النقدية على الأحاديث، ويستدلون على ذلك بقبوله حديث الغرانيق؛ إذ قال: " إن تظاهر الروايات يجعل له أصلا ما...".

يقبل محدث كبير كابن حجر هذا الحديث مع أنه طاهر البطلان؟!

هة:

1) إن ابن حجر لم يصحح حديث الغرانيق، وبالتالي لا يعد متساهلا في قبوله لمجرد قوله: إن كثرة طرقها - قصة الغرانيق - دليل على أن لها أصلا بقدر ما يعد اجتهادا منه في تمحيص آراء العلماء والمفسرين فيه

2) لقد كان ابن حجر معتدلا في أحكامه النقدية، بعيدا عن التعسف أو التساهل، يدل على ذلك ثناء العلماء عليه قديما وحديثا، وتراجعه عن بعض آرائه في الفتح، فكيف يوصف بما ليس فيه، وهو حافظ عصره وا

يل:

وضيح ابن حجر أن للحديث أصلا لايدل على تصحيحه له ولا يطعن في عصمة النبي صلى الله عليه وسلم:

الذين ظنوا أن الإمام الحافظ ابن حجر قد أخطأ عندما ذكر قصة الغرانيق في شرحه لصحيح البخاري عند التعرض لشرح قوله تعالى:

ا أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته)

لحج: [52].

صلا" [1].

منه"[2].

: أنه

- صلى الله عليه وسلم - فاله. قال: وقد سبق إلى ذلك الطبري لجلالة قدره وسعة علمه وشدة ساعده في النظر، فصوب على هذا المعنى وحوم عليه"[3].

ي الحافظ ابن حجر - رحمه الله - لم يكن وحده الذي ذكر أن للقصة أصلا، ولكنه تتبع أقوال المفسرين واختار ما يتناسب مع مقام النبوة المحمدية، وأولها تأويلا برأ فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - مما نسب إليه.

لى:

ضحكون ولا تبكون، وأنتم سامدون، فاسجدوا لله واعبدوا)

نجم: [59-62].

لف.

س»[4].

لف»[5].

سر سبب سجود المشركين مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وسبب استجابتهم لأمر الله تعالى، حاصلها أن الشيطان ألقى في أثناء قراءته كلمات على لسان النبي - صلى الله عليه وسلم - فيها الثناء على آلهتهم

نها - وهذا مستبعد - أي طعن في عصمة التبليغ والرسالة؛ لأن النسخ والتصحيح جاء بوحي من الله، وسواء كان الخطأ من النبي - صلى الله عليه وسلم - أو بإيهام الشيطان على أسماع المشركين، فإن المآل واحد،

الإسلام في "مجموع الفتاوى":

ي التي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة، فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين. ولكن هل يصدر ما يستدركه الله فينسخ ما يلقي الشيطان ويحكم الله آياته؟ هذا فيه قولان: والمأثور عن السلف يوافق القرآ

خرين طعنوا فيما ينقل من الزيادة في سورة "النجم" بقوله: " تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى"، وقالوا: إن هذا لم يثبت.

لم أنه ثبت قال: هذا ألقاه الشيطان في مسامعهم ولم يلفظ به الرسول صلى الله عليه وسلم.

السؤال وارد على هذا التقدير أيضا، وقالوا في قوله:

إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته)

لحج: [52].

و حديث النفس.

وله:

بلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم، ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد، وليعلم الذين أوتوا ا

لحج: [52-54].

فقالوا: الآثار في تفسير هذه الآية معروفة ثابتة في كتب التفسير والحديث، والقرآن يوافق ذلك، فإن نسخ الله لما يلقي الشيطان، وإحكامه آياته، إنما يكون لرفع ما وقع في آياته، وتمييز الحق من الباطل حتم الحق، وهذا كما قالت عائشة - رضي الله عنها -: «لو كان محمد كاتما شيئا من الوحي لكتم هذه الآية

ي نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه)

راب: [37].

غرانيق لا تناقض أو تضاد أصلا شرعيا ولا نصا من كتاب الله - عز وجل - ولا من سنته - صلى الله عليه وسلم - فهي من القسم الثالث ولهذا أوردها العلماء، بل إن قصة الغرانيق يمكن أن تكون في معنى قول الله

ا أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته)

لحج: [52].

لم:

(أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى)

نجم: [19-20].

انه:

أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته)

لحج: [52].

[6].

حافظ ابن حجر لم يكن وحده الذي قرر أن أصل القصة موجود، ولكنه تتبع آراء المفسرين والعلماء قبله، واختار أصوبها الذي يتناسب مع مقام النبوة المحمدية التي ترفض الشرك بكل أنواعه وتدعو إلى وحدانية الله

فه:

جاع.

ن إمام عصره في العلم والحفظ والإتقان؛ لذلك أثنى علماء عصره عليه، وعلى ما تمتع به من ذكاء خارق.

مي"[7].

ا الحافظ تاج الدين الفرابيلي - كان من أعلم الناس بأخبار العالم - يحلف بالله تعالى جهد أيمانه أنه ما رأى مثله، ولا رأى هو مثل نفسه، وأنه ما دخل إلى دمشق بعد بني عساكر أجل منه، ولا مثله".

يره "[8].

لسخاوي ثناء جملة من العلماء عليه في كتابه "الجواهر والدرر"؛ ومن هؤلاء:

صره، ونسيج وحده، وإمام وقته، انتهى إليه علم الأثر، والمعرفة بالعلل، وأسماء الرجال، وأحوال الرواة، والجرح والتعديل، والناسخ والمنسوخ، والمشكلات...".

رف العالي والنازل، وحفظ المتون، ونظر في الرجال، وطبقاتهم، ومعرفة تراجمهم من جرح وتعديل، وحقق جميع أنواع هذه الصناعة وغيرها؛ من فقه، وأصول، وعربية، ومشاركة في متون كثيرة".

عنه"[9].

عة[10].

هذه المكانة العلمية فإنه كان أحيانا يتراجع عن بعض آرائه إذا اتضح له أن الحق بخلاف ما رأى، والأمثلة على ذلك كثيرة في شرحه لفتح الباري ومنها:

ه تعالى

رب زدني علما)

طه: [114].

: "واحتج بعضهم في القراءة على العالم بحديث ضمام بن ثعلبة"، قال ابن حجر: "والمحتج هو الحميدي شيخ البخاري، قاله في كتاب "النوادر" له، كذا قال بعض من أدركته، وتبعته في المقدمة، ثم ظهر لي خلاف

2. قال ابن حجر: "ولا خلاف أن آية الحجاب نزلت حين دخوله - صلى الله عليه وسلم - بها - أي: بزينب - رضي الله عنها - فثبت أن الحجاب كان قبل قصة الإفك، وقد كنت أمليت في أوائل كتاب "الوضوء": أن ق

ري"[13].

مة:

ن حجر من الأئمة المجتهدين في عصره، وقد أدى هذا الاجتهاد إلى أنه رأى أن قصة الغرانيق لها أصل لا يمكن إغفاله، وهذا لا يعني أنه رأى أنها صحيحة، ولكنه تتبع الطرق المختلفة التي ذكرت هذه الرواية فظهر ء

ثر هو الوحيد الذي ذكر هذه الرواية، ولكنه تتبع آراء المفسرين والعلماء الذين ذكروها، وفندها، واختار منها ما يناسب عصمة النبي - صلى الله عليه وسلم - وينفي عنه الوقوع فيما ينافي تلك العصمة.

ه شيخه العراقي بالحافظ، لقوة ذاكرته وشدة حفظه، وقد أثنى عليه العلماء كثيرا، وأفرد الإمام السخاوي جزءا خاصا في كتابه "الجواهر والدرر"، تحدث فيه عن ابن حجر وثناء علماء عصره عليه، ووصفهم إياه بال

المراجع:

موقع أهل الحديث. www.ahl alhadeeth.com.

اهرة، ط1، 1407هـ/ 1987م، (8/293).

اهرة، ط1، 1407هـ/ 1987م، (8/294).

اهرة، ط1، 1407هـ/ 1987م، (8/294).

[4]. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: سجود القرآن، باب: سجود المسلمين مع المشركين، والمشرك نجس ليس له وضوء، (2/644)، رقم (1071).

[5]. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: التفسير، باب:) فاسجدوا لله واعبدوا (، (8/480)، رقم (4863).

مصر، ط3، 1426هـ/ 2005م، (10/290: 292).

روت، ط1، 1405هـ/1985م، (1/168).

روت، ط1، 1405هـ/1985م، (1/ 169، 170).

لوم، ط1، 1405هـ/ 1985م، ص170 :172 بتصرف.

يروت، ط1، 1405هـ/ 1985م، (1/170: 172) بتصرف .

اهرة، ط1، 1407هـ/ 1987م، (1/180).

اهرة، ط1، 1407هـ/ 1987م، (8/318).

اهرة، ط1، 1426هـ/ 2005م، ص168.